النسق السياسي المضمر في شعر الناشئ الصغير (ت٣٦٦هـ)

The Implicit Political Pattern in the Poetry of Al-Nashi' Al-Saghir (d. 366 AH)

م. د مصطفى طارق عبد الأمير الشبلي [١]

Lect. Mustafa Tariq Abdul Amir Al-Shibli (PhD)

الملخص

يسلط هذا البحث الضوء على جانب مهم كان له حضورٌ في شعر الناشئ الصغير علي بن عبد الله بن وصيف بن يوسف (ت٣٦٦هـ)، وهو النسق المضمر، الذي يعمل على الاختفاء، والتواري، والانزواء في أعماق النص وفي بنيته العميقة وربما الصامتة، وخصصنا من انساق الشاعر المضمرة (النسق السياسي) الذي توارى وانزوى خلف خطاب الشاعر المدحي، والرثائي لأئمة أهل البيت عليهم السلام، لأهميته فهو يظهر النسق الثقافي الذي كان سائدا عند السلطة الحاكمة، وقد تضمن البحث مقدمة، وتمهيد اشتمل على (مفهوم النسق المضمر في اللغة والاصطلاح)، ثم المحور الأول وضم (نسق الرفض)، ثم المحور الثاني وجاء في: (نسق الأنا السلطوي)، ثم خاتمة ضمت أبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

الكلمات المفتاحية: النسق المضمر، الناشئ الصغير، النسق السياسي، نسق الرفض، الأنا السلطوي

Abstract

A brief research that sheds light on an essential aspect that had a presence in the juvenile poetry, Ali bin Abdullah Bin Waseef bin Yusuf (d. 366 AH). It is the tacit pattern that works to be implied via the depths of the text and may be in its silent structure. We devoted from the poet's tacit style,

١- جامعة القاسم الخضراء/ كلية التربية mustafa.t@s.uokerbala.edu.iq

the (political style), who hid behind the discourse of the praising and elegiac to the imams of the prophet's progeny peace be upon them, due to its importance as it shows the cultural pattern that prevailed during the reign of the ruling authority. The research included an introduction, and a preface that included (the concept of the implicit pattern in linguistic and idiomatic. Then the first axis included (the implicit political style opposing to the ruling authority). The second axis entitled (the implicit political style corresponding to the ruling authority), and then a conclusion that included the most prominent results of the research.

Keywords: Implicit pattern, Al-Nashi' Al-Saghir, political pattern, rejection pattern, authoritarian ego.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، وبعد فإن مفهوم الأنساق المضمرة يعد من المفاهيم الحديثة التي بدأت تشغل حيزا كبيرا ومهما في الدراسات الأدبية الأكاديمية وذلك راجع للمخرجات التي تأتي بها الدراسة، من حيث كونها تركز على قضايا لم يجعلها الشاعر ظاهرة في شعره، فضلا عن إعطائها صورة أخرى لواقع المجتمع وثقافته.

ومن الأمور المهمة التي ينبغي توفرها في دراسة الأنساق أن يكون الشاعر المختار للدراسة ذا ثقافات متعددة، ومن هنا صار توجهي لديوان الناشئ الصغير الذي كان يمتلك ثقافات متعددة اختزنت في مخيلته، فضلاً عن تنقله في بيئات طبيعية مختلفة أغنت نتاجه الوصفي.

وبعد قراءتي لديوان الشاعر للفحص عن النصوص التي قد تشتمل على أنساقٍ مضمرة وجدت أن أغلب النصوص التي قالها الشاعر وفي أغراض (الفخر، المدح، الهجاء، الزهد) تحمل أنساقاً سياسة واجتماعية ودينية مضمرة، ولتقييد البحث بعدد الأوراق فقد أخذت النسق السياسي المضمر عينة للبحث، الذي تضمن مقدمة، وتمهيد اشتمل على (مفهوم النسق المضمر في اللغة والاصطلاح)، ثم المحور الأول وضم (نسق الرفض)، ثم المحور الثاني وجاء في: (نسق الأنا السلطوي)، ثم خاتمة ضمت أبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

التمهيد: النسق لغة: «النسق من كل شيء: ما كان على طريقة نظام واحد»[٢]. المضمر لغة: أضمرت الشيء: أخفيته، وهو مضمر[٣].

النسق المضمر اصطلاحا: وهو «النسق الذي يعمل على الاختفاء والتواري والانزواء في أعماق النص وفي بنيته العميقة وربما الصامتة، وهو لا يضاف إلى النص من خارجه بل هو بنية تشكل جوهره الداخلي

٢ – لسان العرب، مادة نسق –: ٣٥٢/١٠.

٣ – لسان العرب، مادة ضمر –: ٤٩٣/٤.

عبر مخزون تراكمي وجد في مراحل متغيرة من التاريخ الثقافي، ويستخدم فيه أساليب تتنوع بين ما هو نصي وآيدلوجي، ويتخلله التورية الثقافية» [٤].

المحور الأول: نسق الرفض.

نسق الرفض السياسي: هو فن من الفنون الذي يقوم على ما يتبناه الشاعر من أفكار ومعتقدات وما يعتمد من مبادئ تشكل المنطلقات الأساسية لموقفه الرافض للنظام السياسي والسلطة الحاكمة حيث يجسد فيها الشاعر واقع السلطة، والطريقة التي تعامل بها رعاياها، ويعتبر النسق بخاصة المضمر منه خير شاهد ودليل على واقع السلطات والحكومات التي حكمت البشر [٥].

والجدير بالذكر أن نشوء الرفض السياسي في العصر العباسي الذي عاش فيه الناشئ الصغير كان لعدة أسباب أهمها عند شعراء الشيعة هو الدفاع عن مظلومية أهل البيت عليهم السلام الذين هم أحق بالخلافة من غيرهم، وغير الشيعة كالشعراء الشعوبيين الذين رأوا أنهم أفضل من العرب والأحق منهم بالخلافة.

ولا يخفى أن الناشئ من شعراء الشيعة ومن الموالين لأهل البيت عليهم السلام فجاء (نسق الرفض) المضمر في جملة من خطاباته رافضاً لواقع السلطة وأساليبها وقد انزوى هذا النسق خلف الخطاب المدحي بالدرجة الأولى، ولا يخفى أنّ الناشئ الصغير عاش فترة من عمره في ضل حقبة عرفت بعدائها لأهل البيت عليهم السلام، وانطلاقا من ثقافته الدينية ومولاته لأهل البيت عليهم السلام فتراه أضمر الكثير من الأفكار الرافضة للسلطة والخلافة في خطابه.

وقد استطاع الناشئ الصغير أن يبث أفكاره الرافضة للسلطة من خلال مدائحه ومراثيه لأهل البيت عليهم السلام.

ومن خطاباته في هذا الاتجاه (الرافض للسلطة) قوله في الإمامين الكاظمين عليهما السلام : **(من الوافر)**

ببغدادٍ وإن مُلئت قصورا ... قبورٌ أغشت الآفاقَ نورا

ضريحُ السابعِ المعصوم موسى ... إمامٍ يحتوي مجداً وخِيرا

بأكنافِ المقابرِ من قريشٍ ... له جَدثٌ غدا بَهِجاً نضيرا

وقبر محمد في ظهر موسى ... يغشي نور بهجته الحضورا[٦]

---

٤ – الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي: ٥٣، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي: ٢٩٣.

٥ – ينظر: الرفض السياسي في القصيدة الجزائرية المعاصرة رسالة ماجستير –: ١١.

٦ – ديوان الناشئ الصغير: ٢٦٠.

من الثقافات السائدة والمتجذرة عند معظم العرب هو أن السلطان والخليفة من أولوياته وضرورياته هو أن يكون له قصـــر فخم وخدم في ذلك القصـــر، وهذه الثقافة يجب أن تتحقق برؤيتهم وإن كانت على حساب الرعية[٧].

وقد جاء الخطاب المدحي متعرضـا إلى هذه الثقافات ولكن جاء هذه الانتقاد بصـورة مضـمرة منزوية خلف بعض من الخطابات المدحية للإمامين الكاظمين عليهما السلام فهذا الخطاب يحمل دلالات عدة فضـــلا عن غرضه الأساس وهو المدح، ويبين لنا الصورة النموذجية للخليفة المتمثلة بشخص الإمام.

أما النسـق المضـمر فهو يتمثل بالرفض والنقد للتصـرفات اللا إنسـانية واللا مبالية والتي كانت تمارس على حساب الطبقة الفقيرة[٨] وقد انزوى هذا الرفض خلف هذا الخطاب المدحي فهو يتمثل برفضه لكل ما تقوم به السـلطة العباسـية متمثلة بملوكها ووزرائها وأمرائها حيث أنها – أي الطبقة السـياسـية- بعد أن تجمع الثروة كانوا يغرقون في ملذاتهم ويهتمون ببناء القصـور العظيمة التي ملئت بغداد، فصـار عندهم بناء القصور ونسيان الطبقة المجتمعية الفقيرة نسقاً ثقافياً يمثل السلطة العباسية وواقعها.

ومن الشـــواهد الأخرى في هذا النســـق (الرفض) قول الناشـــئ الصـــغير لعضـــد الدولة بن بويه: **(من الوافر)**

رأيـــتُ ببـــابِ دارِكُـــم كِـــلاباً تُغذّيـــــها وتـــــُطعِمُها السِّـــــخالا

فهـــل في الأرضِ أدبـــرُ مِـــن أديـــبٍ يكـــونُ الكلـــبُ أحســـنُ منـــهُ حَـــالا[٩]

ويَصُب هذا الخطاب في مصب الخطاب المتقدم الرافض لواقع السلطة والثقافات السائدة في قصورهم، ومن الملاحظ أن الشاعر غرس تحت خطابه الجمالي المتمثل بالمديح ما هو غير جمالي في الثقافة العربية[١٠] وذلك عندما زار قصـــور الخلفاء واطلع على ثقافاتهم الخاصـــة المتجذرة في الثقافة العربية، وهو لا شـــك امتدح الخليفة ولكنه أضمر موقفه الرافض لهذه الثقافة في تلك القصور.

ويدل على ذلك ما روته المصـادر من أنّ البيتين نظمهما بسـبب أنه عندما دخل على سـيف الدولة، فأنشـده قصـيدة، وقد اعتذر سـيف الدولة بضـيق اليد يومئذ، وقال له: أعذر فما يتأخر عنا حمل المال

٧ – ينظر: تاريخ ووصف قلعة القاهرة: ١٦٧.

٨ – ينظر: الشخصية المهمشة في ضوء مجموعة ضوء العشب القصصية: ٤٧.

٩ – ديوان الناشئ الصغير: ٣٠٤.

١٠ – ينظر: نقد ثقافي أم نقد أدبي: ٣٣.

إلينا، فإذا بلغك ذلك فأتنا لنضاعف جائزتك، ونحسن إليك. فخرج من عنده فوجد على باب سيف الدولة كلابا تذبح لها السخال وتطعم لحومها، فعاد إلى سيف الدولة فأنشده البيتين [١١].

فظاهر الخطاب يدل على مدحه وكرمه إلى درجة أن كلابه تذبح لها السخال، وإن كان فيها وجه من المعاتبة للخيلفة، وهذا الظاهر، ولكن هناك نسق ثقافي مضمر قصده الشاعر وأشار به إلى سياسة الحكام اتجاه رعاياها.

فالشاعر يشير على الواقع السياسي المقيت الذي امتد إلى النظام الاجتماعي ونال من الطبقة الفقيرة، فهو يرفض الطبقية التي كانت تسود في ذلك المجتمع، وكذلك يجري لنا مقارنة بين واقع الأمراء والوزراء وواقعه الذي مثل واقع المجتمع، فالنسق الثقافي السائد عند طبقة الوزراء يقتضي تفضيل كلاب الوزير على رعاياه من الطبقة الفقيرة في المجتمع.

ومن وجوه الرفض للسلطة التي وجدناها في شعر الناشئ الصغير هو بيان أفعالهم الشنيعة بحق أهل البيت عليهم السلام ثم الدعوة إلى أخذ الثأر من هؤلاء الخلفاء العباسيين والثورة عليهم، وقد انزوى هذا الوجه من الرفض في الخطابات الرثائية لأهل البيت عليهم السلام، ومن ذلك قوله: **(من الطويل)**

بَني أحمد قَلبي بكمْ يتقطّعُ ... بمثلِ مُصابي فيكمُ ليسَ يسمعُ
عَجبتُ لكمْ تَفنونَ قتلاً بسيفكِمْ ... ويسطو عليكمْ مَنْ لَكمْ كانَ يخضعُ
فَما بقعةٌ في الأرضِ شَرقاً ومغرِباً ... وليسَ لكمْ فيها قَتيلٌ ومَصرعُ
ظُلِمتمْ وقُتِّلتمْ وقُسِّمَ فِيئكمْ ... وضَاقتْ بكمْ أرضٌ فَلمْ يُحمَ مَوضعُ
كَأنَّ رَسولَ اللهِ أَوْصَى بِقَتلِكمْ ... وأَجسامُكمْ فِي كُلِّ أَرضٍ تُوزَّعُ[١٢]

وقوله في أهل البيت عليهم السلام:

(من الطويل)

رَجائِيْ بَعِيْدٌ والمَمَاتُ قَرِيْبُ ... وَيُخْطِئُ ظَنّي والمَنونُ تُصِيبُ
مَتَى تَأخُذونَ الثّأرَ ممّنْ تَآلبوا ... عَليكمْ وشبُّوا الحَربَ وهيَ ضروبُ
فَذلكَ قد أَدمَى ابنُ مُلجمَ شَيبَهُ ... فَخرَّ على المِحرابِ وهوَ خَضِيبُ
وذاكَ تَولَّى السمُّ عنهُ حَشَاشةً ... وأنشِبنَ أظفارٌ بها ونُيوبُ

---

١١ – ينظر: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء: ٤/٥٥.

١٢ – ديوان الناشئ الصغير: ٢٦٦.

وَهَـذا تَـوزَّعـنَ الصّـــوارمُ جِسْـــمَـهُ فَخَرَّ بِأَرْضِ الطَّـــفِّ وهوَ تَرِيـبُ[١٣]

إن القراءة الثقافية لهذه الخطابات الرثائية تنبأ عن الموقف الرافض لسـياسـة الدولة الأموية والعباسـية اتجاه أئمة أهل البيت عليهم السـلام، وتتجلى مواقف الرفض في بيان المآسـي التي مرت على آل البيت عليهم السلام وهي: (الفناء بالسيف، والسطو، والتشريد، والظلم، ومخالفة الرسول) كل هذه العبارات ضمنها الشاعر ليشير إلى الواقع الثقافي التي كانت عليه تلك الحكومات الظالمة فهي مرفوضة في منظومة الشاعر الثقافية، ولا يكتفي بهذا الرفض بل نراه في النص الآخر يدعو إلى أخذ الثأر من هذه الحكومات والثورة عليها.

ولم يكتفي الناشـئ الصـغير بهذه الخطابات بل اسـتعمل خطاب الزهد – الذي يعد من الأغراض العميقة التي ترمض النفس –كتحذير للخليفة ورفض لما يقوم به، ومن الشـواهد على ذلك قوله في زهد أهل البيت عليهم السلام: **(من الخفيف)**

اسْـــتَـمِـعْ مَـا أَتَـى بِـهِ جِـبْرَئِـيـلُ أَحْمَـدَ المُصْـــطَفَى البَشِـــيْرِ النَّـذِيرا

يـومَ صَـــامَ الـوَصِـــيُّ والأَهْـلُ لـلـ ـــــهِ تَـعَـالى يُـوفُـونَ مِـنْـهُـمْ نُـذُوْرَا

وَحَـبُـوا فِيْ طَـعَـامِـهِـمْ ذَلـكَ الـيَـوْ م يَـتِـيْـمـاً وَمـؤْسَـــراً وَفَـقِـيْرا

فَتَلا هَـلْ أَتَى عَلى الإِنْسـانِ ذَا حِيـ ـــنٌ مِنَ الـدَّهْـرِ لَمْ يَكُـنْ مَـذْكُـوْرَا

وَابْـتَـدَا نُـطْـفَـةً هُـنَـالِـكَ أَمْشَـــا جـاً غَـدَا بَـعْـدَهَـا سَمِـيْـعـاً بَصِـــيْرَا

وَهَـدَى نَسْـــلَـهُ فَـأَصْـــبَـحَ إِمَّـا شَـــاكِـراً مُـؤْمِـنـاً وَإِمَّـا كَـفُـوْرَا

إِنَّ الابـرارَ يَشْـــرَبُـوْنَ بِـكَـأْسٍ كَـانَ فِـيْـهِـمْ مَـزَاجُـهَـا كَـافُـوْرَا[١٤]

بالرجوع إلى السيرة التاريخية لأئمة أهل البيت الخلفاء الشرعيين نجد الشاعر يشير إلى حادثة تاريخية تسـالم عليها الجميع ونقلتها مختلف المصـادر والمراجع وهي حادثة إطعام السـائل الذي طرق باب الإمام علي عليه السلام ونزول سورة (هل أتى) بحقهم صلوات الله عليهم أجمعين[١٥]. فالشاعر غرس في هذا الخطاب الجمالي – الموحي في ظاهرة إلى جملة من الثقافات والقيم العالية — نسقا مضمرا تمثل بالرفض لواقع الخليفة والسلطة العباسية فتراه بزهد الأئمة صلوات الله عليهم يرفض صنوف البذخ وضروب التبذير والترف، عند

---

١٣ – ديوان الناشئ الصغير: ٢٤٥.

١٤ – ديوان الناشئ الصغير: ٢٥٧، والجدير بالذكر أنّ صدر البيت الرابع هكذا ورد في الديوان ، وفيه خلل في الوزن، ويستقيم إذا قلنا: فَتَلا هَلْ أَتَى عَلى الأنسِ ذَا حِيـ –.

١٥ – ينظر: شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ٤٠٨/٢.

الخلفاء الذين اقتنوا الجواري واتخذوا الفرش من الخز والديباج والحرير والمسامير الفضة، وبإطعام الأئمة لليتيم والمسكين يرفض معاملة الخلفاء العباسيين للرعية حيث أنهم انغمسوا باللهو والمجون. (١٦)

ومن الملاحظ في خطابات الناشئ الصغير تأكيده في أكثر من موضع على انتساب الأئمة المعصومين عليهم السلام إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن ذلك قوله في ضمن قصيدة يصف بها الأئمة عليهم السلام :

هُـــم الآلُ آلُ الله والقُطـــبِ التي ... بها فَلَك التوحيـــدِ أصـــبحَ دَائراً

أئِمـــةُ حَقٍّ خَاتـــم الرُّســـل جَدُّهم ... وَوَالـدُهُم مَن كـانَ لِلحَقِّ نَاصـــراً

عَلـــي أميـــر المؤمنيـــن وَسَـــيِّدٌ ... إلى قَرنِـه بالسَّـــيفِ مَـا زَالَ بَاتراً

وأمُّهُمُ الزَّهـــراء أكرَمُ بـــره غَـدا ... قلبها مَضـــني عَلى الوَجدِ صَـــابراً(١٧)

بالعودة إلى المصادر التاريخية نجد أن بني العباس سلكوا في سبيل الوصول إلى الخلافة مسلك من سبقهم بادعائهم قربى النبي، وأن خلافتهم قائمة على العلم والحكمة الموروثة عن العباس عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ووريثه على حد قولهم(١٨).

وقد جرت في ذلك الكثير من المناظرات والمساجلات والأشعار – في إثبات هذه المسالة – بين العلويين وشيعتهم من جهة، وبين العباسيين وشيعتهم ومن تزلّف إليهم من جهة أخرى، ومنهم الناشئ الصغير الذي كانت له جملة من المناظرات الشعرية الفقهية والعقائدية ومن ذلك قوله عن لسان المقابل مسترسلا بتلك الآراء واصفاً صد أكثر الناس عن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث يقول:

وإنـه أرســـل الـداعـي لـيـدعـونا ... وصـــد أكـثـرنا عـن أمـر داعـيـه

ولكن السلطة العباسية كانت تجابه هذه الأفكار بالبطش والتنكيل والرد عليهم بسياسة الحديد والنار، وهذا ما دعى الناشئ الصغير أن يضمن خطابه الجمالي المدحي نسقاً ثقافيا مضمرا وهو (نسق الرفض) لصلة هؤلاء بالنبي، مؤكدا على صلة الأئمة عليه السلام بالنبي وأنهم هم الوريث الشرعي له.

المحور الثاني: نسق الأنا السلطوية:

تتمثل الأنا السلطوية في القدرة الضمنية أو المكتسبة من أجل ممارسة السطوة أو الهيمنة على مجموعة، وهي مظهر للقوة، وهي تسعى دائما إلى تعالى الذات السلطوية، وإلغاء الآخر المختلف. (١٩)

---

١٦ – ينظر: تاريخ التمدن الإسلامي، مج: ١-٢/١٢٩.

١٧ – ديوان الناشئ الصغير: ٣١١.

١٨ – ينظر: الجذور التاريخية للوزارة العباسية: ١٥.

١٩ – ينظر: السلطة والقيادة: ١٦-١٨، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية: ٢٧١.

وقد جسد الناشئ الصغير (الأنا السلطوية) لخلفاء العصرين الإسلامي والعباسي – حيث الخضوع للأقوى وترهيب الأضعف والتقليل من مكانة الناس واحتقارهم – في الكثير من خطاباته المدحية والرثائية لأئمة أهل البيت عليهم السلام بخاصة مراثيه في الإمام الحسين عليه السلام .

فمن خطاباته المدحية لأهل البيت عليهم السلام الحاملة في طياتها نسقاً سياسيا مضمراً متمثلا بـــ (الأنا السلطوية) لمن خالف التنصيب الإلهي ونصب نفسه خليفة على الناس قوله في مدح الإمام علي عليه السلام :

(من المتقارب)

أَلا يَا خَلِيْفَةَ خَيْرِ الوَرَى ... لَقَدْ كَفَرَ القَوْمِ إِذْ خَالَفُوْكَا

أَدَلُّ دَلِيْلٍ عَلَى أَنَّهُمْ ... أَبُوْكَ وَقَدْ سَمَعُوا النَّصَ فِيْكَا

خِلافَهُمُ بَعْدَ دَعْوَاهُمُ ... وَنَكْثَهُمُ بَعْدَمَا بَايَعُوْكَا

وقوله في موضع آخر:

(من الطويل)

أَلا أنَّ خَيْرَ الخَلْقِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... عَلِيُ الَّذِيْ بِالشَّمْسِ أَزْرَتْ دَلائِلُهْ

وَصِيُّ النَّبِيِّ المُصْطَفَى وَنَجِيْبُهُ ... وَوَارِثُهُ عِلمَ الغُيُوبِ وَغَاسِلُهْ

وَمَنْ لَمْ يَقُلْ بِالنَّصِ فِيْهِ مُعَانِداً ... غَدَا عَقْلُهُ بِالرَّغْمِ مِنْهُ يُجَادِلُهْ

يُعَرِّفُهُ حَقَّ الوَصِيِّ وَفَضْلَهُ ... عَلى الخَلْقِ حَتَّى تَضْمَحِلّ بَوَاطِلُهْ

لا يخفى أن نسق (الأنا السلطوية) من الأنساق الثقافية المتجذرة في نفوس القبائل العربية، فكانوا ينصبون الأكبر سناً على سبيل المثال، أو أن هناك بعض القبائل كانت ترى الخلافة لها ولا يحق أن تكون لغيرها.

وهذه الخطابات نموذج من الخطابات التي تنقلك في ظاهرها إلى جملة من الحوادث التاريخية كحادثة السقيفة وحادثة الغدير، وكيف أن القوم خالفوا التنصيب الإلهي للإمام علي عليه السلام ولم يلتزموا بوصية الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم والملاحظ إن هذا الخطاب الجمالي الثقافي توارى خلفه نسق ثقافي مضمر كان سائدا في تلك الفترة وهو يشير إلى الثقافة السائدة في ذلك الوقت.

فالناشئ الصغير أضمر أنساقه وراء هذه الخطابات، وهو نسق مترسب في ذاكرته وتكونه الثقافي ولولاه لما وجد هذا النص الذي تم تشذيره بالخطاب المدحي الجمالي[٢٠]، وتمثل هذا المضمر بـــ (أنا السلطة) فهؤلاء القوم لم ينفع معهم حديث رسول الله بتنصيب علي بن أبي طالب عليه السلام ، ولا حادثة

٢٠ – ينظر: النسق الثقافي و اثره في البناء النصي النثري الصوفي: ٩٥.

الغدير، وهذا الخروج على المنظومة الإلهية يكمن وراء الأنا المتكبرة التي ترفض الرضوخ وأن تكون مسودة من قبل شخص يصغرها سنا، فضلا عن الطابع القبلي، وما يؤكد هذه النسقية ما روي أن أبا قحافة كان بالطائف لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وبويع لأبي بكر، فكتب ابنه إليه كتابا عنوانه «**من خليفة رسول الله إلى أبي قحافة . أما بعد فإن الناس قد تراضوا بي، فإني اليوم خليفة الله، فلو قدمت علينا كان أقر لعينك قال: فلما قرأ أبو قحافة الكتاب قال للرسول: ما منعكم من علي؟ قال: هو حدث السن وقد أكثر القتل في قريش وغيرها وأبو بكر أسن منه**» [٢١]، فيتضح من هذا النص نسق (أنا السلطة) المتجذر في نفوس هؤلاء.

ويتعرض الشاعر في خطاباته السياسية إلى خلافة بني العباس معلنا براءته منهم حيث يقول:

(من الطويل)

إِلـيـكُـمْ بَـنِيْ الـعَـبَّـاس عَـنّي فَـإِنَّـني ... إلى اللهِ مِـنْ مَـيْـلـي إِلـيـكُـمْ لَـتَـائِـبُ

تَـرَكْتُمْ طَرِيْقَ الحَقَّ بَعْـدَ اتِّضَـــاحِـهِ ... وَاقصـــتْـكُـمُ عَـنْـهُ ظُـنُـونٌ كَـوَاذِبُ

أَتَرْضُـــونَ أَنْ تُطْوَى صَـــحَائِفَ عُصْـــبَةٍ ... كِـرَام لَهُـمْ فِي السَّـــابِـقِـيْنَ مَـنَـاقِـبُ

ثم أخذ يعرض أمامنا مشاهد ظلم بني العباس لبني هاشم على الرغم من صلة الدم التي تربطهم فيعتبر خلافة بني العباس امتدادا لخلافة بني أمية التي كايدت وناصبت العداء لرسول الله ﷺ ولأهل بيته عليهم السلام حيث يقول من القصيدة نفسها:

أَفِيْقُوا مِنَ السُّـــكْرِ الَّذِيْ قَدْ طَحَا بِكُمْ ... فَكَمْ قَدْ صَـحَا مِنْ سَـكْرَةِ الخَمْرِ شَـارِبُ

لَئِنْ كَـايَـدَتْ نَصْـــبـاً أُمَيَّـةَ هَـاشِمـاً ... فَكُلَّهُمُ مِنْ سَـــالِفِ الـدَّهْرِ نَاصِـــبُ

فَـآباؤهـــمْ كَـــادُوا بِحَـــرْبِ مُحَـــمَّـــدٍ ... وَأَبْـنَـاؤهُـمْ لِـلـدِّيـنِ كُـلٌّ مُحَـارِبُ

وَلـكـنْ بَـنـو الأَعْـمَـام مَـا بَالهـمْ بَـغـوا ... عَلَيْهِمْ وَهُمْ فِيْ الوَاشِـــجَاتِ أَقَـارِبُ[٢٢]

والملاحظ إن ثقافة النسب أو الارتباط بالدم من الثقافة السائدة والمتجذرة حيث أنهم يرون إن الخلافة لا يمكن أن تنتقل لمن لا يرتبط معهم بالدم، وشـــكلت هذه الخطابات، وهنا يكمن العداء الذي كنه الأمويون إن النبي كان من هاشم ولم يرسل من بني حرب جد الأمويين.

---

٢١ – الاحتجاج، للطبرسي: ١٢٥.

٢٢ – ديوان الناشئ الصغير: ٢٤٧.

فالخطاب أضمر نسقاً سياسيا متجذراً في نفوس العرب وهو أن الحكم يجب أن يكون لمن يرتبط معهم بالدم وهو يمثل نسق (الأنا السلطوية) لدى هذه القبائل، في حين أن الشاعر كان رافضا لهذا النسق والملاحظ في الخطاب هو كسر السائد وهو النسق القبلي الذي تربطه أواصر الدم، وذلك بسبب الرضوخ لنسق الأنا المتجذر في نفوس هؤلاء المعادين للنبي وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين.

ومن الخطابات الأخرى التي غرس فيها الناشئ الصغير النسق المضمر المعبر عن (الأنا السلطوية) قوله من قصيدة في أهل البيت عليهم السلام:

(من الطويل)

هُمُ حَسَنَاتُ العَالِمِين بِفَضْلِهِمْ ... وَهُمْ لِلأَعَادِيْ فِيْ المَعَادِ ذُنُوبُ

وَقَدْ حَفَظَتْ غَيْبَ العُلُومِ صُدُورُهمْ ... فَمَا الغَيْبُ عَنْ تِلكَ الصُّدورِ يَغِيْبُ

فإِنْ ظُلِمَتْ أَوْ قُتِّلَتْ أَوْ تَهَضَّمَتْ ... فَمَا ذَاكَ مِنْ شَأْنِ الزَّمَانِ عَجِيْبُ

وَسَوْفَ يديلُ اللهَ فِيْهِمْ بِأَوْبَةٍ ... وَكُلٌّ إِلى ذَاكَ الزَّمَانِ يَؤوبُ[٢٣]

لو رجعنا إلى التأريخ قليلاً نجد هناك ستة من الأئمة المعصومين عليهم السلام قد قتلوا في زمن الدولة العباسية وبأمر من الخليفة وذلك خوفاً من قيام ثورة شعبية ضد السلطة العباسية ولكيلا يتزعزع كرسي الخلافة.

وهذا الخطاب المدحي الذي خص به الشاعر أئمة أهل البيت عليهم السلام توارى خلفه النسق المضمر الذي يشير إلى (الأنا السلطوية) المتجبرة عند خلفاء بني العباس، فالناشئ الصغير لا يتعجب من مقتل ستة من الأئمة المعصومين الذين هم كنوز العلم وجعل ظلمهم ومقتلهم نتيجة حتمية للأنا السلطوية المتجذرة في نفوس الخلفاء العباسيين.

الخاتمة

الحمد لله الذي ختم بالقران الكريم الكلام، وصير خاتم الانبياء محمدًا سيد الانام، وجعل شريعته خاتمة الشرائع، وصلى الله على الأوصياء من بعده أهل بيته، والخلص من أصحابه، وبعد. فها نحن نصل إلى نهاية المطاف، لندوّن أهم النتائج التي توصلنا إليها في بحثنا هذ وهي كالآتي:

١- كان لتجوال شاعرنا الناشئ الصغير في جملة من البلدان الأثر في عكس الصورة الواقعية لثقافة هذه البلدان، والتي وظفها – أي الثقافة – في نصوصه الشعرية.

٢- يتضح من النصوص الشعرية، التنوع في المصادر الثقافية للشاعر فهي مصادر غذاها القرآن الكريم والحديث الشريف ومجالس الأدب التي كان يحضرها الشاعر، فضلا عن المناظرات.

---

٢٣ – ديوان الناشئ الصغير: ٢٤٦.

٣- تمثل دافع اختلاف الناشئ الصغير مع الخلفاء في الأساس الجانب الديني، يليه الدافع القومي، إذ كانت بغداد في زمنه خاضعة لسيطرة الأعاجم، فانبثق موقفه الرافض لذلك الواقع من شعور بالانتماء لقوميته وانتصار لها.

٤- الأنساق التي أضمرها الناشئ الصغير في شعره والتي عالجها البحث تتمثل النسق السياسي متمثلاً بـ (نسق الرفض، نسق الأنا السلطوي).

٥- تنوعت الأنساق الثقافية الظاهرة والمضمرة في شعر الناشئ الصغير، فشملت الأنساق الدينية، والاجتماعية، والسياسية.

٦- شكل الخطاب الرافض للسلطة العباسية النسبة الأكبر في خطاب الشاعر المدحي والرثائي لأهل البيت عليهم السلام.

٧- توسل الشاعر بحيل اللغة وخطابها المدحي والرثائي لتمرير أنساقه المضمرة المخالفة للسلطة والرافضة لكل ما تقوم به تجاه رعاياها.

المصادر والمراجع

١. الاحتجاج: أحمد بن علي الطبرسي(ت٦٢٠هـ)، تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان/النجف الأشرف، ١٩٦٦م.

٢. إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء: محمد راغب الطباخ الحلبي (ت١٣٧٠هـ)، دار القلم العربي/حلب، ط٢/١٤٠٨هـ.

٣. تاريخ التمدن الإسلامي: لجرجي زيدان، مراجعة وتعليق: د. حسين مؤنس، دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٨م.

٤. تاريخ ووصف قلعة القاهرة: بول كازانوفا، ترجمة، تحقيق :أحمد دراج ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١/ ١٩٧٤م.

٥. الجذور التاريخية للوزارة العباسية: فاروق العمر، دار الشؤون الثقافية/ بغداد، ١٩٨٦م.

٦. دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي: د. سمير الخليل، مراجعة وتعليق: د. سمير الشيخ، دار الكتب العلمية/بيروت، ١٩٧١م.

٧. ديوان الناشئ الصغير: جمعه: الشيخ محمد السماوي (ت١٣٧٠هـ)، تحقيق: هلال بن ناجي، الناشر: مؤسسة البلاغ/بيروت، ط١/١٤٣٠هـ.

٨. الرفض السياسي في القصيدة الجزائرية المعاصرة، ديوان (وبقيت وحدك) للشاعر عبد الله عيسى لحليح أنموذجاً، رسالة ماجستير، للباحثة: سهام مراني، ٢٠١٨ – ٢٠١٩م.

٩. السلطة والقيادة: لمحمد زيعور، منشورات شركة الرشاد برس/بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

١٠. الشخصية المهمشة في ضوء مجموعة ضوء العشب القصصية: أنور عبد العزيز، دار الخليج/ عمان، ط١/٢٠٢٠م.

١١. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: للحاكم الحسكاني (ق٥)، مجمع إحياء الثقافة الإسلامي/ قم، ط١، ١٤١١هـ.

١٢. الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي: شوكت الربيعي، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة، ط١/١٩٨٨م.

١٣. لسان العرب: للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري (ت٧١١هـ)، نشر: أدب الحوزة/قم، ١٤٠٥هـ.

١٤. النسق الثقافي و اثره في البناء النصي النثري الصوفي: خالد حوير الشمس، مركز الكتاب الأكاديمي/ عمان، ط١/٢٠٢٠م.

١٥. النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية: عبد الله الغذامي، الركز الثقافي العربي/ الدار البيضاء، ط٣/ ٢٠٠٥م.

.